

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ وَوَهَبَهُ وَأَعْطَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ النَّاسِ لِأَهْلِهِ وَنَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَاتَّبَاعِهِ الْمُهْتَدِينَ بِهَدْيِهِ وَالْمُقْتَفِينَ آثَارَهُ وَخُطَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ تِلْكَ الْعَلَاقَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ بَعْدَ الزَّوْاجِ هِيَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى التَّفَكُّرِ، وَلَا عَجَبَ فِي الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ، وَالْوَالِدِ وَالْوَالِدِ، وَالْأَخِ وَأَخِيهِ، وَالرَّحِمِ وَرَحِمِهِ، كَالْعَجَبِ مِنَ الْعَلَاقَةِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الرَّوْجَيْنِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فَتَحَ عَيْنَيْهِ عَلَى وَالِدَيْهِ أَوْ عَلَى رَحِمِهِ، وَأَحْسَنًا إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ فَوْقَ إِحْسَانِهِمَا إِلَى أَنْفُسِهِمَا؛ فَكَانَتْ نَفْسُهُ تَحْمِلُهُ عَنْ طَوَاعِيَةِ إِلَى بَرِّهِمَا وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَالْوَالِدُ رَأَى وَلَدَهُ صَغِيرًا، فَأَخَذَ يَكْبُرُ شَيْئًا فَشَيْئًا فِي سِنِينَ، وَحُبُّ أَبِيهِ لَهُ يَكْبُرُ مَعَهُ، وَأَمَّا الرَّوْجَانِ فَقَدْ يَكُونُ أَحَدُهُمَا لَا يَعْرِفُ الْآخَرَ قَبْلَ الزَّوْاجِ، فَيَكُونُ الزَّوْاجُ فَيَنْشَأُ ذَلِكَ الشُّعُورُ الْعَجِيبُ بَيْنَهُمَا الَّذِي يَكُونُ وَلِيدَ تِلْكَ اللَّحْظَةِ؛ فَمَنْ الَّذِي أَلْفَ بَيْنَ ذَيْنِكَ الْقَلْبَيْنِ! وَمَنْ الَّذِي خَلَقَ تِلْكَ الْعَلَاقَةَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ! إِنَّهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي قَالَ:

﴿ وَمَنْ عَائِيَتْهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢).

(١) سورة البقرة / ٢٣٧.

(٢) سورة الروم / ٢١.



وَانظُرُوا فِي تَصْوِيرِ تِلْكَ الْعَلَاقَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي قَوْلِ رَبِّنَا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(١)، فَمَا أَشْبَهَ هَذَا بِقَوْلِهِمْ: وَلَدَ الْإِنْسَانِ قِطْعَةً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ بَضْعَةً مِنْهُ. وَاَنْظُرْ كَيْفَ يَتَعَامَلُ الْإِنْسَانُ مَعَ مَنْ يَكُونُ قِطْعَةً مِنْ قَلْبِهِ أَوْ بَضْعَةً مِنْهُ؛ فَإِنَّكَ تَجِدُهُ يُقَدِّمُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَيُؤَثِّرُهُ عَلَيْهَا، مَهْمَا كَانَ حَالُهُ، وَيَحْرِصُ أَنْ يَكُونَ أَحْسَنَ مِنْهُ عِلْمًا وَأَدَبًا وَمَنْزِلَةً وَمَقَامًا، وَإِذَا أَخْطَأَ وَجْهَهُ وَتَجَاوَزَ عَنْهُ، وَإِنْ عَادَ إِلَى الْخَطِإِ نَصَحَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَعَفَا عَنْهُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَنْفَكَّ مِنْهُ أَوْ يَتَخَلَّى عَنْهُ، إِنَّ هَذَا التَّصْوِيرَ الْكَرِيمَ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(٢)، مُرَادٌ بِهِ أَنْ تَكُونَ مُعَامَلَةَ الزَّوْجِ لِزَوْجَتِهِ مَمْلُوءَةً حُبًّا وَإِيثَارًا وَإِكْرَامًا.

وَإِذَا مَا وَقَفَ الْإِنْسَانُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣)، أَدْرَكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ مُرَادٌ مِنْهَا أَنْ تُعَامَلَ زَوْجَهَا مُعَامَلَةً يَمْلَأُهَا حُبًّا وَإِكْرَامًا، وَرَغْبَةً فِي أَنْ تَكُونَ أَحْسَنَ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ، وَاعْتِدَارٌ لَهُ إِذَا أَخْطَأَ، وَنُصْحٌ وَتَوْجِيهٌ وَأَخْذٌ لَهُ بِاللَّيْنِ وَالرَّفْقِ، وَإِعَانَةٌ لَهُ بِكُلِّ وَجْهِهِ الْإِعَانَةِ، مُضْحِيَّةٌ مِنْ أَجْلِهِ، غَيْرَ مُتَخَلِّيةٍ عَنْهُ فِي كُلِّ حَالٍ كَمَا أَنَّهُ لَا يَتَخَلَّى عَنْهَا؛ أَخْذًا بِوَصِيَّةِ رَبِّنَا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلْتِمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(٤)، فَهَذِهِ هِيَ مَقَاصِدُ الْإِسْلَامِ - عِبَادَ اللَّهِ - وَغَايَاتُهُ، وَلَوْ أُوْدِعَ الْأَزْوَاجُ هَذِهِ الْمَرَادِشَ الرَّبَّانِيَّةَ قُلُوبَهُمْ لَسَهَّلَ كُلُّ صَعْبٍ، وَيَسَّرَ كُلُّ عَسِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَشْكَالَاتِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ، وَلَيْسَ الْإِشْكَالُ فِي الْمَشْكَالَاتِ وَسُوءِ الْفَهْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَا مَحَالَةَ، وَلَكِنَّ الْإِشْكَالَ فِي عَدَمِ وُجُودِ نِظَامٍ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ لِتَجَاوُزِ تِلْكَ الْمَشْكَالَاتِ، وَنِسْيَانِ أَنْ كُلَّ ابْنِ آدَمَ خَطَاءٌ، وَأَنَّ خَيْرَ الْخَطَائِينَ التَّوَابُونَ، وَأَنَّهُ ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٥)، وَأَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِقَبُولِ عُذْرِ الْآخِرِ وَالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ هُمُ الْأَزْوَاجُ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ وُقُوفِنَا عِنْدَ قَوْلِ رَبِّنَا جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(٦)، فَكَيْفَ بِنَا إِذَا وَقَفْنَا عِنْدَ بَاقِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٧)، نَعَمْ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٨).

(١) سورة الروم/٢١.
(٢) سورة الروم/٢١.
(٣) سورة النقرة/٢٢٨.
(٤) سورة المائدة/٢.
(٥) سورة الشورى/٤٠.
(٦) سورة الروم/٢١.
(٧) سورة الروم/٢١.
(٨) سورة الرعد/٣.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ،
وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْبَرَّةِ الْمُتَّقِينَ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْلَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ خَيْرَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))، وَلَيْسَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ كَامِلٌ لَا يُخْطِئُ إِلَّا
مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ - رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً - يُدْرِكُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ
وَيَعْمَلُ بِهَا فِي عَمَلِهِ مَعَ مَسْئُولِهِ وَزُمَلَائِهِ، وَفِي مُجْتَمَعِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَفِي أَهْلِهِ مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ
وَأَخِيهِ وَأُخْتِهِ، كَانَ حَرِيًّا بِهِ أَنْ يَعْمَلَ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةَ مَعَ شَرِيكَ حَيَاتِهِ؛ فَيُبَادِرَ إِلَى الْاِعْتِدَارِ،
وَيُقِيلَ الْعَنْتَرَةَ، وَيَتَجَاوَزَ عَنِ الزَّلَّةِ، وَيَتَغَاضَى عَنِ بَعْضِ الْأُمُورِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ: عَلَى
الْمَرْءِ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ جَيِّدًا قَبْلَ الزَّوْجِ، وَأَنْ يُعْمِضَهُمَا نِصْفَ إِعْمَاضِ بَعْدِهِ، وَقَدْ قِيلَ: الرَّجُلُ
الَّذِي لَا يَغْفُو عَنِ الْهَفَوَاتِ الصَّغِيرَةِ لِلْمَرْأَةِ لَنْ يَنْتَفِعَ بِفَضَائِلِهَا الْكَبِيرَةِ، وَيَجِبُ أَنْ يُقَالَ أَيْضًا:
الْمَرْأَةُ الَّتِي لَا تَغْفُو عَنِ هَفَوَاتِ الرَّجُلِ الصَّغِيرَةِ لَنْ تَنْتَفِعَ بِفَضَائِلِهِ الْكَبِيرَةِ.

وَلَنْ نَجِدَ أَبِينَّ لِهَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ((لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا
رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))، وَمَعْنَى ((لَا يَفْرَكُ)): لَا يُبْغِضُ. فَلَوْ أَخَذَ النَّاسُ بِهَذِهِ الْهَدَايَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ
وَالْإِرْشَادَاتِ النَّبَوِيَّةِ لَتَلَاشَتْ كَثِيرٌ مِنْ حَالَاتِ الطَّلَاقِ، تِلْكَ الَّتِي تَحْصُلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ
لِسَبَبٍ لَيْسَ مُعْتَبَرًا، فَتَنْهَدِمُ بِذَلِكَ أُسْرَةٌ، وَيَتَشَتَّتُ أَمْرُ الْأَوْلَادِ وَيَكُونُونَ صَحِيَّةً ذَلِكَ الْفِرَاقِ، وَقَدْ
قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَ ذِكْرِ أَحْكَامِ الْخِلَافِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١)، وَقَالَ ﷺ: ﴿وَإِنْ



تُصَلِّحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾ .

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٢﴾ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَرْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدَعْ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا .

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ .

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ .

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .

(١) سورة النساء/ ١٢٩ .
(٢) سورة الأحزاب/ ٥٦ .



اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

